د. محمد بن عبد الله السلومي

(*) باحث في التاريخ ودراسات القطاع الخيري والقطاع الثالث.

## قراءة في كتب **هوفمان**

# حول رؤيته في الحداثة وأثرها في أفول الغرب

من خلال قراءتي في كتب المفكر الألماني مراد هوفمان وبعض أبحاثه ومقالاته[1]، أجد أنه لم يكتب عن الحداثة بصورة مستقلة في كُتبه بقدر ما هو تضمين عند نقده للحضارة الغربية ومؤشرات انحرافها أو أفولها (كما يرى). إذ إن رؤية هوفمان للحداثة الغربية جاءت في سياق الوصف والأثر كعوامل لأفول الغرب فقط. ولهذا وردت بعض التعريفات والمفاهيم في هذا الموضوع من غير أقوال هوفمان لمزيدٍ من الإيضاح حول النقص في التعريفات، والموضوع هنا ليس لمناقشة الحداثة ومصطلحاتها وتاريخها أو تفكيكها، أو أنواع الحداثة والتباينات الغربية حولها وسياقاتها المتنوعة وتعريفاتها الجدلية؛ لكنه عن رؤية هوفمان حول انكشاف مخاطرها على حياة الغرب وحضارته عدا عمَّن يأخذ بها من غيره.

---

(١) للكاتب دراسة بحثية في كتب هوفمان ورؤاه وما فيها من مقارنات بعنوان: (المفكر الألماني مراد «ويلفرد» هوفمان - رؤيته في احتضار الغرب وصعود الإسلام)، وتُعدُّ هذه الورقة من نتائج الدراسة.

وهوفـمان في ظـل كثـير من السـياقات الفكريـة في كتبه قد ترجَّـح لديه أن الغرب قد ضَـلَّ الطريق السـوي الصحيح في حياته الفكريـة والأخلاقيـة التـي تضبـط الحياة والسـلوك وتضمـن له البقـاء؛ إذ إن فقدان العقيدة وضعـف الأخلاق مؤثران بقوة على بقـاء الحضـارات وأركان قوَّتهـا. ومع هذا الواقـع الغربي فإن هوفمان يـرى أن معظم الغـرب المتعصـب (حكوماتٍ ورجـالِ دين وفكر) يغالط نفسـه بغرورٍ واسـتعلاء حول مخاطر تخبطاته الفكرية المتكررة والمتنوعة التي يعيشـها اليوم، إذ تُعدُّ من أسباب بداية انهياره وعوامل أفوله.

والكتابة هنا تُعد من نتائج القراءة والتأمل في كُتُبـه وكتاباتـه، فهو يرى بقـوة أن مآلات الحداثة وما بعد الحداثة أدخلت معظم الغرب في انحرافات وصراعات فكريـة مدمِّرة لحياته

وقاتلة لمستقبله؛ إذ إن موضوع الحداثة وما بعد الحداثة في مآلاتها المشتركة ما يزال يُعمِّق التخبط الفكري ويُضاعف الخواء الروحي والخلل النفسي؛ فحداثة الغرب وما يُسمى بالتنوير وما بعد الحداثة تُعَدُّ من أبرز مراحل تحولات الغرب عن دينه في تاريخه المعاصر، ولهذا فإن فهم ما ترتب على هذه التحولات مما يكشف كثيراً من جوانب القوة أو الضعف لدى الغرب لبقاء حضارته وسيادته على الأمم الأخرى وهيمنته السياسية المُهدَّدة بالضعف أو الزوال.

فالقراءة - مثلاً - في كتب المفكر هوفمان العشرة[1] - وهو ممن عاش حضارة الغرب

(١) وهي الكتب التالية: (الرحلة إلى الإسلام - يوميات دبلوماسي ألماني «يوميات ألماني مسلم» حسب الترجمتين، الإسلام كبديل، الإسلام عام ٢٠٠٠م، رحلة إلى مكة، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، الإسلام - كما يراه ألماني مسلم، خواء الذات والأدمغة المستعمرة،

وَسَــبرَ أغــوَارَه - جعلتنــي أقتنع كما هي قناعات هوفمان بأن أصل مشكلات الغرب الروحيــة والفكريــة والأخلاقية وأســباب احتضاره وأفوله جاءت من نفسه وبأسباب ترتبــط بتحولاتــه الفكرية؛ فهــو يرى أن أساس داء الحضارة الغربيــة الـمُزمِن ناتج عــن أخذها بالحداثــة هروباً مــن الدين وضوابطه أو قيوده، وللخلاص من توجيهاته والتحــرر مــن مُحرَّماتــه كــما أرادوا هم. فالديانة النصرانية الــمُحرَّفة أســهمت في نشوء الحياة الإقطاعية التي سادت معظم دول الغرب مع وجود الأنظمــة الـمَلَكية الــمُستبِدَّة المتحاربة في ذلك الوقت، وهو ما أنهك اقتصادياتهــم وأرواحهم، ومن ثَمَّ كانت ردود الفعل لدى الغرب تجاه دينهم

في تطور الشريعة الإســلامية، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق).

المحرَّف أن يستبدلوا به ما يسمى بالحداثة!

وأنموذج واحد من أقواله يكشف شيئاً من رؤيته حول فشل حداثة الغرب مع نفسه وذاته في حاضره ومستقبله، وذلك بقوله: «إن مشروع الحداثة قد فشل فشلاً ذريعاً في مسعاه لترويض الغرائز البشرية بالعقل وحده. وبدلاً من حلول جنة العالم الآخر على كوكب الأرض نشبت حربان عالميتان مدمِّرتان واستُخدمت الأسلحة الكيماوية والذرية. وارتُكبت المجازر في محارق الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي وكوارث أخرى لا تُعد ولا تُحصى»[٢].

ولأن هوفمان لم يتطرق لتعريفات الحداثة

(٢) مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٩٥ - ٩٦، وللمزيد من النصوص انظر عن اقتباسات كثيرة حول نقد الحداثة لهوفمان في الفصل الأول (المجموعة الخامسة).

ولا لتاريخها؛ وإنما كانت كتاباته عن أثرها على حياة الغرب بحاضره ومستقبله، فقد تَطلَّب هــذا بعض الإضافات العلمية هنا من غير ما كتبــه هوفمان؛ لتأكيد مدى ما ذهب إليه في كتاباته وكتبه عن الحداثة أو عن مآلاتها على الغرب ذاتــه، وما توصَّل إليه من نتائج حول عوامل وأسباب أفول الغرب تحديداً.

وتتعــزز النتائج بمــا يُســندها من بعض الأقــوال والــرؤى الأخرى مما يكشــف عن معرفةٍ أكثر عن أسباب ودوافع ظهور الحداثة في الغرب، وشيء من تشــخيصها ومخرجاتها، وذلــك من خــلال بعض المصــادر من أنصار الحداثة وناقديها على السواء.

ومــما ورد عــن مفاهيمهــا المكتوبة عند أنصارهــا قول أحــد الباحثين عنهــا: «يحتل مفهوم الحداثة Modernity Quote في الفكر المعاصر مكاناً بارزاً، فهو يُشير بوجه

عام إلى سـيرورة [أي مسـار] الأشياء بعد أن كان يشير إلى جوهرها، ويفرض صورة جديدة للإنسان والعقل والهوية، تتناقض جذرياً مع ما كان سائداً في القرون الوسطى.

وبالرغم من أهمية هذا المفهوم وشيوعه في الفكر المعاصر، إلا أنه أكثر التباساً وتعقيداً؛ لِـما ينطـوي عليه مـن غمـوض، وارتباطه بحقول معرفية عديدة واستخدامه في مجالات مختلفة، وتَوازي معناه مع مسـيرة الحضارة الغربيـة الحديثـة، التي أفرزت إشـكاليات رافقت الحداثة ومـا بعدها... والحداثة هي نقيض القديم والتقليدي. فهي ليست مذهباً سياسـياً أو تربوياً أو نظاماً ثقافياً واجتماعياً فحسب؛ بل هي حركة نهوض وتطوير وإبداع، هدفها تغيير أنماط التفكير والعمل والسلوك، وهي حركة تنويرية عقلانية مستمرة، هدفها تبديل النظـرة الجامدة إلى الأشـياء والكون

والحياة إلى نظرة أكثر تفاؤلاً وحيوية»[٣].

ويُعـرِّف الفيلسـوف الألمـاني (إيمانويـل كانط) الحداثة في سياق إجابته عن سؤال: ما الأنوار؟ فيقول: «الأنوار أن يخرج الإنسان من حالة الوصاية التي تتمثل في اسـتخدام فكره دون توجيه من غـيره». وباعتبار أن (كانط) من آباء الحداثـة الغربية فإنه يؤكد «في كل أعماله أن شرط التنوير والحداثة هو الحرية... بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سـلطة الـمُقدَّس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل». والحداثة عند (تورين) باختصار كما

---

(٣) انظـر: إبراهيم الحيدري، ما هي الحداثة؟ موقع إيلاف، بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٠٩م، الرابط التالي:
https://elaph.com/Web/ElaphWriter/2009444829/5/.html
نقلاً عن:
(Habermas, Jurgen, Der Philosophische Diskurs der Moderne, Frankfurt, 1991)

يقول في كتابه نقد الحداثة «تَســتَبدلُ فكرة الله بفكرة العلم، وتَقْصرُ الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد»[٤].

ويُعــرِّف (رولان بــارت) الحداثــة بأنهــا «انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى الســيطرة عليه». ويصف لنا (جوس أورتيكا كاســيت) الحداثة قائــلاً: «إن الحداثة هَدْمٌ تقدمي لــكل القيــم الإنســانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي، وإنها لا تُعيد صياغة الشــكل فقط، بل تأخذ الفن إلى ظُلُمات الفوضى واليأس»[٥].

وهــذه التعريفات - وغيرها كثيــر - جاءت

(٤) انظر: علي وطفة، بحــث بعنوان: (مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة)، مجلة فكر ونقد، عدد (٣٤)، ص٢، ١٦.

(٥) انظــر: عدنان علي رضا النحــوي، تقويم نظرية الحداثة، ط١، دار النحوي للنشر والتوزيع - السعودية، ١٩٩٢م، ص٣٥.

من بعض ما ورد على ألسنة أهل الحداثة من الغربيين أنفسهم أو من أنصارهم، ومن أتباعهم على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم.

ومما يُعزِّز هذه الأقوال الغربية عن حقيقة الحداثة ويسهم في إيضاحها أكثر أقوالُ بعض الباحثين من المسلمين حول مفاهيمها ودلالاتها ومآلاتها، ومن ذلك:

- أن الحداثة فكرة لا تقتصر على الجانب الأدبي فقط كما يتصور بعض الناس؛ إنما هي نظرية وفلسفة وأيديولوجية تعم وتشمل كافة الجوانب الحياتية اجتماعية كانت أم معرفية أم صناعية أم سياسية أم غيرها. ومن ثَمَّ فالحداثيون يُقدِّمون تصوراً هدَّاماً لحياة الناس يتصادم مع الهدف من وجود هذا الإنسان والكون والحياة، وهذا التصور الحداثي الغربي اقتحم جميع مناحي الحياة.

• أن الأســاس الــذي تقــوم عليــه فكرة الحداثــة هو العقــل والعقلانية التــي تَهدِر معها كلَّ ما لا يدركه العقل. فالعقل المتحرر من كل ســلطان هو معيار أهل الحداثة، بل هو السلطان الحاكم على الأشياء.

• الحداثة مُعَاكَسَــةٌ مع المــاضي وانقطاع عنــه. فهي انفصال للحديث عــن القديم، بل هي ثورة على كل قديم مقدس أو غير مقدس.

• أنهـا الحرية المطلقة التـي لا يقف في طريقها ضابط، ولا يحكمها شيء.

• أن الحداثة لا تتحقق إلا بحركة الإنسان حراً طليقاً دون وصاية عليه من أي جهة.

• أنها فكرة ضد الله والغيب. وفي الوقت نفسـه لا تتحقق إلا بعزل الدين عن شؤون الحياة، وقـصره على الشـؤون الخاصة بكل فرد[٦].

وأقول معلقاً على ما سبق: لقد ظللتُ مدةً من الزمن أقرأ محاولاً معرفة سِرِّ إعجاب بعض المثقفين وأشـباههم من المسـلمين بالحداثة الغربيـة وتباهيهـم بالمصطلـح ومحاولـة إسقاطه على الدين الإسلامي وتراثه وثقافته،

(٦) انظـر: أحمد محمد زايد، مقـال بعنوان: (ما الحداثة؟)، صيد الفوائد، الرابط التالي:
http://www.saaid.net/mktarat/almani/70.htm

فأدركــت بقناعةٍ علمية أن كثيراً منهم يجهل هذا المصطلح وظروف نشوئه ومآلات الأخذ به. وربما أن هؤلاء يُرددون هذا المصطلح دون وعي بحقيقته، بل عجبتُ كثيراً من نسيانهم وجهلهم، أو تناسيهم وتجاهلهم لمصطلحات التجديــد والاجتهاد في الدين الإســلامي وما فيهما من غُنية عن كلمــة الحداثة، عدا عن مدلولاتها ومفاهيمهــا الغربية المرتبطة بكل ما يتعارض مع الحقيقة واليقين في الإسلام!

وأرى أنــه إذا جاز للمســلمين اســتخدام هــذا المصطلح في جانبه اللغــوي المجرد من أيديولوجيتــه المنحرفة، فإن عــلى هؤلاء أن يعــوا حقيقــة أن الدين الإســلامي بعقيدته وتشريعاتــه وقيمه هــو في حقيقته - أصلاً - تحديث وتجديــد وإصلاح لمســار الديانتين اليهوديــة والنصرانيــة اللتين ضلتــا الطريق، وكفى بإيضــاح القرآن ذلك بقولــه: ﴿اهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧].

وربما يكون الاستغناء عن المصطلح بمفاهيمه المستوردة بأن تكون الحداثة والتحديث في الإسلام بإحياء الاجتهاد الشرعي الفقهي للمسائل الشرعية كما يرى بعض أهل الفكر، وقد دعا لهذا هوفمان من خلال جهود علماء يمتلكون أدوات التجديد والاجتهاد. كما يمكن أن تكون هذه الحداثة عند القبول اللفظي للمصطلح منهج تجديد وتحديث صحيح وسليم للمسلم. لكن لا يمكن لحداثة مُستَورَدة متصفة بالصفات سابقة الذكر أن تضاهيَ أو تعلوَ على دين الإسلام، وما فيه من الإيمان واليقين بحقيقة الحياة الدنيا والآخرة، وما في هذا الدين من الثواب والعقاب الأخروي الرادع عن الظلم والعدوان على البشرية، وبما في

هــذا الإيمان بالثواب والعقاب مما يُصلح حياة البشريــة ويهديها إلى مقاصــد الحياة وغاياتها بكل وسائل التجديد والتحديث المشروعة.

يقــول هوفمان عن جــذور أزمة الحداثة ومأســاة التنوير وعن البديــل المنافس: «إن جــذور الأزمــة الأخلاقية الحاليــة في الغرب تعود إلى ٢٥٠ عاماً مضت. فإن عملية الشفاء منها تبدأ بنقد جذري لعقلانية الحداثة، وما خَلَقَتــه من دين بديل. فلن يكون هناك أمل في الشــفاء إلا إذا نجحنا في تحرير الغرب من وهــم الحداثة التــي تحكمه؛ لأننــا في هذه الحالة فقط ننجح في وقف عملية التســميم الذاتي العقلاني، التي يُمارســها الغرب ليتمكن مــن إعادة صلتــه بالغيبيات، وأن يســتعيد المقــدسُ والإلهي مكانتــه في دائرة اهتمامه، ويكــون هذا أمام عينيــة. إذاً فالأمر يتطلب إعــادة الاعتبار للدين كــردٍّ فعل عقلاني على

حاجة الإنسانية التي لا بد أن تبدأ بوضع العلوم التطبيقية في مكانها، وليس كبديل عن الدين»[٧].

ويؤكد هوفمان أن الإسلام بديل حضاري والاجتهاد الشرعي فيه بديل عن أوهام الحداثة، وعن هذا قال: «إنني أثق في قدرة الإسلام على النجاح في أن يَستبدِل بالنموذج القائم نموذجه القادر على تجاوز فشل الحداثة، وذلك بالرغم من القصور بين أتباعه»[٨].

ويكرر المفكر هوفمان القول حول الحداثة وأوهامها، والتنوير ومأساته كما هي تعبيراته في كثيرٍ من كُتبه ودراساته: أن التحديث الحقيقي بالنسبة للمسلمين إنما

(٧) الإسلام في الألفية الثالثة - ديانة في صعود، ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٨) الإسلام في الألفية الثالثة - ديانة في صعود، ص٢٨٧.

يكون بتعزيز الاجتهـاد الشرعي فهو البديل المنافـس، حيث الإيمـان بالعلم دون تعارض خلافاً للغـرب مع دينه المحرَّف، وحيث عدم التناقض بين الإيمـان والعلم، كما هي الحالة الغربية مع كنائسـها ودينها النصراني. وهي الحالة التي قادت الغرب إلى ما يُسمَّى حركة التنويـر والحداثة خروجاً من جمود ديانتهم واسـتبدال رجـال دينهم، وهـذه الحالة في الغرب هي التي انتهت به إلى الشك والإلحاد والتنقل باضطراب وقلق بين المذاهب الفكرية والنظريات الفلسـفية! وكفى أن الحداثة في الغرب ترتبـط بتقديس العقـل ونبذ الدين والموروث، وربما السـخرية مـن النصوص أيّاً كانت.

ويرى بعض الباحثين من المسلمين كما يرى هوفمان أن البديـل المنافس لمصطلح الحداثة هو الاجتهاد الشرعي في الإسلام. والاجتهاد هو

المصطلح الذي يُعبِّر عن احتياج المسلمين في جميع عصورهم. ولهذا فالحداثة ومفهومها من منظور إسلامي واعٍ - عند القبول بهذا المصطلح اللفظي فقط - هي اعتبار الإسلام دين التجديد والاجتهاد الدائم. ومن ثَمَّ فالإسلام في حقيقته ثورة على الجمود والتقليد والخرافات والأساطير في الأديان المحرَّفة والأفكار المنحرفة، بل إنه دين إنقاذ وإصلاح لمسار البشرية من أساطير النصرانية وخرافاتها، ومن تحريف اليهودية وضلالها ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. وكفى بهذا الإصلاح الديني بالإسلام حداثةً وتطوراً وتقدُّماً. وعن هذا الاجتهاد في تشريعات الإسلام كَتَبَ أحد الباحثين، ومما قال: «الإسلام عن طريق الاجتهاد هو أكبر دين حداثي؛ لأنه يُعطي الفرع شرعية الأصل، ويعترف بالزمان والمكان وبالتطور، وإن إجماع كل عصر غير مُلزِم للعصر القادم... لدينا

الاجتهاد وهو اللفظ الــذي أُفضِّله، ولا أُفضِّل لفظ الحداثة، فحداثتي من الداخل»[٩].

ولهذا فإنني أرى أنه لا يمكن لحداثة تسعى لنفــي الغيب والتحرر من الإيمان وَرِقِّه - كما يــرون - وتعمل على إطــلاق حرية التحقق والاختيار الإنســاني مع غياب اليقين، إنها مع هــذه الحالة ســوف تتعاطــى بفهم صحيح مع حقيقة الإنســان وحقيقة الحياة ومآلاتها والكون ووظائفــه والهدف من الوجود، وإذا كانــت حداثة الغــرب وانقلابهم على دينهم بسبب ما طرأ على دينهم من التحريف، وما فيــه من تصادمٍ مع العلم والمعرفة والعدالة؛

(٩) انظر: زكي الميلاد، بحث بعنوان: (الاجتهاد وبناء المعاصرة في الفكر الإســلامي)، بتاريخ ١٤ ينايــر ٢٠١٩م، الرابط التــالي: https://bit.ly/3gfJGXk، (الخطــاب الإســلامي المعاصر، محــاورات فكرية، إعــداد وحوار: وحيد تاجا، حلب: فصلت للدراســات والنشر، ٢٠٠٠م، ص٦٢).

فإن الأمر مختلف كلَّ الاختلاف مع الإسلام الذي يدعو إلى العلم والمعرفة وتحقيق العدالة.

وأرى كذلك أن التجديد في الإسلام الذي ورد في الأحاديث النبوية من لوازمه الاجتهاد الشرعي، وأن حركات التجديد والمجددين عبر عصور التاريخ الإسلامي وما فيها من إحياء للاجتهاد الفقهي؛ تَفُوقُ مفاهيم الحداثة الغربية في فاعليتها المنضبطة بضوابط الشريعة، بل بمحركاتها القوية من الحث على العلم والمعرفة والاحتساب بمفاهيمه الواسعة، فهو دين يُحدِّث نفسه بنفسه من خلال تشريعاته، ومن ذلك ما ورد من قول المصطفى ﷺ: «إنَّ الله يبعثُ لهذه الأمة عَلَى رَأْسِ كلِّ مائةِ سَنَة مَن يجدد لها دينها»[١٠]،

(١٠) رواه أبي داوود في سننه، حديث رقم (٤٢٩١)، ورواه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم (١٨٧٤).

والتجديد يكون بالأفراد وبالجماعات العلمية والدعوية والحركات الإصلاحية الشرعية.

ولهذه الأدلة والـدلالات والمفاهيم يتأكد على دعـاة الحداثة والليبراليـة الجانحة من العرب والمسلمين أن يتعمقوا في دراسة وفهم الحداثـة الغربية. فربما أنهـم لم يقرؤوا عنها ما يكفـي، أو لم يفهموها كـما ينبغي، ليأتي بعد ذلك تحرير المصطلح عن حداثة الغرب. فاسـتيراد مصطلـح الحداثة لدين سـماوي حق، ووحي حـق يتوافق مع العلم الصحيح والعقل السـليم يُعدُّ ضرباً مـن العبث. ولا يمكن لمؤمنين بالقرآن قبول الحداثة بصورتها وتاريخهـا وهويتهـا الغربية، ومـا في قبولها من إلغاء أو إضعـاف لأصالة الفكر والثقافة الإسلامية. ولا يمكن قبول الحداثة لتكون سُلَّماً للتغريب الفكـري والثقافي المغلَّف بالتحديث والتنوير. وهي في حقيقتها ظلامية وحقد على

الموروث، لا سيما أن الحداثة المستوردَة في غالب أحوالها لدى المتبنين لها من المسلمين أو من المحسوبين على الإسلام تتسم بالتمرد على الدين وضوابطه من أرباب التطرف والغلو الليبرالي، القائم على الانفصام عن ثقافة أمة الإسلام الأساسية وعقيدتها وموروثها العلمي الصحيح.

## هوفمان ورؤيته حول أبرز قيم الحضارة الغربية:

الحديث في هذا الموضوع ليس قراءة نقدية لقيم الغرب وحضارته المادية فهذا موضوع آخر كبير؛ لكنه عرض لرؤية المفكر الألماني هوفمان رجل السياسة والفكر حول أبرز القيم التي تحدَّث حولها بعض المزايدات[١١]

(١١) المقصود بالمزايدة هنا: التباهي بامتلاك ما ليس عند الآخرين من الفضائل والمزايا زعماً وظناً وتخرصاً لا

بــين الغرب والشرق، وهــذه القراءة لا تعدو أن تكــون نتائج في قراءة أبرز كُتُبه ومقالاته، بعيــداً عن التحليــل أو الردود والاســتدراك ســوى ما ذكره هوفمان نفســه عن منافسة الإسلام بعقيدته وتشريعاته حول هذه القيم بمقارنــات تســتوجب النظــر والتأمل. ومن أبرز هــذه القيم ما يتعلــق بالحقوق عامة والديمقراطية بصورةٍ خاصة.

وهوفمان بمنهجيته النقدية لحضارة الغرب غالبــاً ما يضيــف بعض المقارنــات التي ربما يَعدُّها وســيلة مثلى لمعرفةٍ أكثر عن الحقيقة بين حضــارة الغرب الماديةً المعاصرة وما فيها من الشرك وتقديس العقــل، وبين ما يمتلكه الإسلام من عقيدة التوحيد وما فيه من علاقة مُثلى بين المادة والروح وبين الإيمان والعقل.

---

تحققاً. ويمكــن الرجوع للبحث العلمــي لمراد هوفمان حول هذه المزايدات الغربية.

وليس الموضــوع هنا عن هذه الفروقات الكبــيرة بقدر ما هو عن قضايا محدَّدة هي موضِع مزايدات الغرب المتعصب بسبب أن الإسلام والغرب حضارتان متنافستان في معركة البقاء والسيادة وتقديم الأفضل للبشرية، بل في أصول وفروع فكرية. فالغرب المتعصب - وليس المتســامح - يتطاول بكبرياء واستعلاء مُشَــاهَد على عمــوم المجتمعــات العالمية، وعلى المســلمين خاصة بواقعهــم المتخلف الذي لا يمثــل حضارة الإســلام وتشريعاته. بــل إن الغــرب يَضَــع عموم المســلمين في موقــف دفاعي منهزم حول المواضيع الثلاثة المتكــررة بالطرح، وهــي: (موضوع حقوق الإنسان بشــكل عام، وحقوق المرأة بشكل خــاص، وموضــوع الديمقراطيــة). والغرب بهذه المزايــدات على شيء كثير من الصواب مقارنةً بواقع معظم دول العرب والمسلمين،

لكنــه غير مصيب بحق الإســلام وتشريعاته الحقوقيــة حول هــذه القضايا. وقــد أَكثَرَ المفكر الألمــاني مراد هوفمان من طرح هذه الموضوعــات في مجموعة مــن كتبه، بل إنه خصــص ورقة علمية حول هــذه القيم وما فيها مــن مزايدات، كما أنه عمل بالمقارنات مع تشريعات الإسلام حسب منهجيته حول هذه القيم الثلاث في الدين الإسلامي[١٢]:

## أولاً: حقوق الإنسان

تنتاب كثيراً من المسلمين الدهشةُ والذهول أثنــاء أي حوار حــول حقوق الإنســان، بأن

(١٢) انظــر: مــراد هوفــمان، بحــث علمــي بعنــوان: (مصطلــح حقوق الإنســان غــير معــروف في الديانات الإبراهيمية)، ترجمة مصطفى الســليمان، موقع قنطرة، بتاريــخ ٢٠٠٣/٠٣/١٢م، الرابــط التــالي: https://ar.qantara.de/node/10427، تــم النقل منه هنا بتصرف كبير وببعض الإضافات.

شركاءهم الغربيين في الحوار يعتقدون بشكل جـدي أنهم هم من أَوجَد حقوق الإنسـان! أو أن لهـم حق الملكية الفكرية الذي لا نزاع فيـه! ثم بأن حقوق الإنسـان لا تُحتَرم إلا في الغرب، ولا تُحتَرم قط في العالم الإسلامي!

ويـرى هوفـمان في أكـثر مـن واحد من أبحاثـه[١٣] أن عـلى المعنيين بالحـوارات أن يُوجِّهـوا للـشركاء من الغربيـين في أي حوار الأسئلة التالية حول الانتهاكات في هذا العصر تحديداً:

هـل ثَمَّة خروقـات لحقوق الإنسـان كمّاً ونوعاً أسـوأ مـن الخرق الجماعي الرسـمي لحقـوق الإنسـان في الحربـين العالميتين في أوروبا، حيث اسـتُعملَت الأسلحة الكيماوية والذريـة، ناهيك عـن الإرهاب السـتاليني،

(١٣) انظر على سبيل المثال: المرجع السابق.

وعمليات الإبادة الآلية لليهود والمعاقين عقلياً والمثليين والغجر وأصحاب الآراء السياسية الأخرى في الهولوكوست؟ ثم ماذا بعد وجود هيئة الأمم المتحدة وصدور الإعلان العالمي عن ميثاق حقوق الإنسان المعاصر، وتلازم هذا مع حالات التمييز العنصري وعمليات الإبادة العرقية في البوسنة وكوسوفو في عصر الحضارة؟ وهل حدثت أيٌّ من هذه الجرائم والبشاعات خارج إطار المدنية الغربية ودولها وحضارتها؟ أو هل حدثت مثل هذه الانتهاكات الكبرى بهذا الحجم من العدوانية وعدم التسامح في أي بلد في المنطقة الإسلامية؟

بالرغم من أن الإجابة الصادقة عن هذه الأسئلة يجب أن تكون بالنفي، يلاحظ المرء أن الشركاء الغربيين في الحوار يتبجحون تكبُّراً - بل يُعاقِبون في حال تطلَّب الأمر ذلك بقطع مساعدات التنمية - ويُطالِبون العالم بالأخذ

بمفهومهم الخاص (الأوروبي الأمريكي) لحقوق الإنسان. وهكذا يجري استغلال مسألة حقوق الإنسان وتسييسها كهراوة للتهديد مرفوعة للضغط على الآخرين أحياناً، وابتزازهم أحياناً أخرى!

ويؤكد هوفمان ويُكرِّر أن الغرب سواء كان الأمر يتعلق بالاتحاد السوفييتي المندثر، أم يتعلق بالولايات المتحدة فإنه بات واضحاً في كل الأحوال أن قائمة حقوق الإنسان لم تكن في غالب الأحيان أكثر من قطعة ورق. وما على المرء سوى سؤال السود في أمريكا أو الهنود الحمر الأمريكيين لمعرفة الأمر. وعلى كل الأحوال فإنه لا جدل في أن البشرية لم تتمكن حتى هذه اللحظة قط من إيجاد (نظام قانون طبيعي) ناتجٍ فقط عن العمل الفكري المجرد صالحٍ للجميع، ومعترَفٍ به من

قبل الجميع، والكل يشعر بأنه مُلتزم به[١٤].

وهوفمان يــرى أن الحقيقة الأكثر وضوحاً عن هذه الحقوق في معظــم البلدان الغربية أنها غير مَصُونَة بالغرب ذاته بشــكل صحيح. فهــي في الغالب أوراق عــلى أوراق تتكدس. وكفــى بها أنها جهد بشري غائب عنها الوحي الإلهي، ثم كفى بها عيباً وقدحاً أن كل مواثيق حقوق الإنســان لم تتطرق للــه الخالق، الذي مَنح هذه الحقوق وشرَّع لها بعدالة سماوية! وكفى بها أن الفهم الصحيح للإســلام عند أي مسلم مؤمن أو منصف غير مسلم يعترف بأن الإسلام قائم في الأساس على أنه نظام متكامل وشامل لكل حقوق الإنسان في الحياة!

---

(١٤) هــذه العبــارات من هوفمان تحتــاج إلى تأمل وقراءة في النــص الأجنبي الأصــلي لمعرفة المقصــود بها، حيث النظام الإسلامي بعمومه وشموله يغطي جميع حقوق الإنســان، وكرامتــه، وانظر عــن هذه الرؤية الســابقة لهوفمان، المرجع السابق.

وأقــول: إن عدم التطبيق عند المســلمين أو دولهــم وحكوماتهم في عصورهم المتأخرة لا يعني مطلقاً أن الإســلام مُتَّهــم بالقصور، بقدر ما هو قصور المسلمين وإخفاقهم بعدم وضعهم صياغة قانونية للحقوق عامة. ومن أبرزها وأهمها توضيح حقوق الله على عباده التي فيها ضمانات السماحة وعدم العدوانية عــلى الآخرين من البــشر. وفيهــا الضوابط الغيبية للسلوك من تقوى الله وطلب الثواب والخوف مــن العقاب، وكذلك إبراز ضمانات تحقيق حقوق الإنسان والمرأة، وحقوق أهل الذمــة والأقليات، وحقــوق الحريات، وحق الحيــاة والرزق، وحقوق الفقــراء، والحقوق الزوجية وذوي الأرحام، وغيرها من الحقوق. والقائمة تطــول ولا تنتهي منذ أكثر من ١٤٠٠ عــام حــول النصــوص الحقوقيــة في القرآن والسنة!

ولا مجال للمزايدة على الإسلام في ميادين التشريعات وما يمتلكه الإسلام من رصيد حقوقي لا يقارَن بغيره بشموله وكماله وما فيه من جوانب الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي. ولهذا فإن الإستراتيجية المثلى للمسلمين تتطلب العمل والبحث الجاد في استنباط وتنظيم قيم حقوق الإنسان، ضمن المنهج الإسلامي كأنظمة وتشريعات تُقدَّم للبشرية، وذلك من القرآن والسنة.

## ثانياً: حقوق المرأة

عن هذا الموضوع كتب هوفمان الكثير، ومما قاله: «إن الأسرة في الغرب منهارة، وإن هناك مؤسسة الخدم والخليلات، وإن معدل الطلاق عالٍ، وإن هناك استغلالاً تجارياً للمرأة جنسياً. نعم! عند دخول الألف الثالثة وُلد في السويد ٥٥٪ من الأطفال خارج نطاق

الزوجية، و ٤٠٪ في فرنســا، و ٣٨٪ في بريطانيا العظمى، مع كل ما ينجم عن ذلك من شقاء وبؤس للأم والطفل. نعم! العنف ضد المرأة في الزيجات الغربية، إذْ وثَّق هذه الحقيقة فيلم إســباني حديث بالإحصائيــات المحيطة (Te doy mis ojos «أمنحــك عيني»، نوفمبر ٢٠٠٣م). نعــم! لم تصل المــرأة في الغرب كله إلى المساواة مع الرجل (بالمقارنة مع القانون) في ميادين السياســة والأعمال والعلوم. ولكن ينبغي ألا يتخذ المســلمون ذلك مثلاً يُحتذى ويتذرعــون به؛ بــل ينبغي أي يُرى الإســلام بأنه الدين الوحيد الــذي يُعزِّز طاقات المرأة وإمكاناتها»[١٥].

ولهــذا فإن شــعار الحقــوق للمرأة لدى الحضارة الغربية يُبرِز تساؤلات عديدة تطرحها

(١٥) انظر: مراد هوفمان، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٥١ - ١٥٢، والإحصاءات الواردة تُعدُّ قديمة!

الساحة الثقافية حتى عند عقلاء الغرب، ومنها: هل يُعدُّ جسـد المرأة سـلعة تُباع وتُشترى في الدعاية والإعلان؟ وهل هذا حقٌّ من حقوقها مثـلاً؟ وهل هذا مما يُعدُّ حقوقاً مُثلى وكرامة للمرأة؟ وهل عمـل المرأة بالصـورة الـمُبتذلة المعمـول بها في الغـرب تكريم للمـرأة، أم إهانة لها؟ وهل هـذا العمل الوظيفي خارج المنزل مـما يُحقق للمرأة حقوقها الأساسـية وكرامتها في الـزواج والإنجـاب المشروع؟ ثم أليـس هذا الحق في العمل يأتي على حسـاب حق أكبر للمرأة والطفـل في الكرامة والتربية والرعايـة والعناية؟ تسـاؤلات عديدة وكثيرة ومتنوعة مفادها ونتيجتها المنطقية بمجملها: القـول: متى، وكيف يمكن تأسـيس منظمات وجمعيات إسلامية في الغرب وفي داخل البلاد العربية والإسلامية تكون معنيَّة بتنظيم وتقنين وإعلان التشريعات والمبادئ والقيم الإسلامية

المعنيــة بحقوق المــرأة وكرامتها لإنقاذها من الانتهــاكات؟ بل أكثر من هــذا؛ نظراً لأهمية تصدير مفاهيم هذه الحقوق والتســويق لها والنــداء بالصوت العالي بغــرض تحرير المرأة الغربية من صور الاستغلال والاحتقار والإهانة التــي لحقت بها مــن قِيم الحضــارة الغربية الماديــة، ومن انحــراف البوصلــة بعيداً عن حقوق المرأة الحقيقية وكرامتها.

ومن مفاهيم حقوق المرأة التي تستوجب التصدير للغــرب ثقافة وجوب قوامة الرجل ومســؤوليته المالية بالنفقة والرعاية، حمايةً للمرأة وتحقيقــاً لكرامتها بنتــاً وزوجةً وأمّاً وجدَّة وأختاً.

ومــما يُعزِّز ويؤكد مــا كتبه هوفمان حول حضــارة الغرب وما فيها مــن انتهاك لحقوق المــرأة مــا كَتَبَتــه الباحثة والمؤرخــة الألمانية ميريام جيبهــارت Miriam Gebhardt

عــن بعض التاريخ الأســود المعاصر للغرب في تعاطيه مع المرأة وحقوقها، وذلك بقولها: «بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية اغتصب (الحلفاء) حوالي مليوني امرأة ألمانية، وتناثرت جثث كثير منهنَّ في الشــوارع! ولم يتردد جنود الحلفاء المنتصرين لحظة واحدة في إعدام أي امرأة كانت ترفض الخضوع لمطالبهم. وقبلت ألمانيا حتى منتصف الخمسينيات [من القرن العشرين] بتســجيل (٣٧) ألف طفل باسماء أمهاتهــم! كما أن الروسَ اغتصبــوا (١٥) ألف امرأة! والأمريــكانَ (١٩٠) ألفــاً! والبريطانيين (٤٥) ألفاً! والفرنســيين (٥٠) ألفاً! والبلجيكيين (١٠) آلاف امرأة! وما فعله الصرب والكروات في نساء البوسنة والهرسك من حالات الاغتصاب الجماعي في تســعينيات القرن العشرين على مرأى ومســمع مــن كل العالم الذي يســمى

متحضراً ديمقراطياً!»[١٦].

والتســاؤلات التي تطرحها قضية المزايدات الغربية حول حقوق المــرأة والطفل كما يرى هوفمان واضحــة من خــلال كتاباته، كما أن كتابات الآخرين مما يُعزِّز كذلك رؤية هوفمان حول الانتهاك الصــارخ لحقوق المرأة والطفل والأسرة، ومثــال واحد صارخ مــن أمريكا عن

---

(١٦) انظــر: ميريام جيبهارت، عندما جــاء الجنود: اغتصاب النســاء الألمانيــات في نهايــة الحــرب العالميــة الثانية (Als die Soldaten kamen: Die Vergewaltigung deutscher Frauen am Ende des Zweiten Weltkriegs)، ط١، ميونيــخ: (DVA) Deutsche Verlags-Anstalt، ٢٠١٥م، ص٢١.

وتذكر بعض الإحصائيات أن الصرب اغتصبوا بين (١٢,٠٠٠) إلى (٥٠,٠٠٠) امرأة بوســنية. وكان هذا الاغتصاب ممنهجاً بغرض الإســاءة والانتهاك لحقوق المسلمين والمسلمات. انظر: موقع (الأمــم المتحدة حقوق الإنســان)، الرابط التالي:

https://www.ohchr.org/EN/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?LangID=E&NewsID=26171

مزاعم هذه الحقوق يكشفه برنامج تلفزيوني تتقزز منه الإنسانية وتشمئز منه الفطرة الإنسانية السليمة، وهو بعنوان (أنت لست الأب) وهو من أشهر البرامج في التلفزيون الأمريكي ويُعرض على قناة NBC منذ عام ١٩٩١م. وهو مُكوَّنٌ من ١٩ موسماً، ووصل عام ٢٠٢٠م إلى ٣٥٠٠ حلقة. وفي كُلِّ حلقةٍ يتم عرض ثلاث أو خمس حالاتٍ من الأزواج على الأقل. وفيه يتم جمع الأزواج وزوجاتهم مصحوبين أحياناً بنتائج علم الوراثة المعاصر مع أولادهم أمام الجميع؛ لِيثْبُت في معظم الحالات أن الأولاد غير شرعيين ولا ينتسبون لآبائهم. ومن ذلك أنه يتم في كل برنامج أن تقوم امرأة من محترفات الفاحشة بدعوة عددٍ من الرِجال إلى البرنامج، ممن أقامت معهم الفاحشة بعلاقةٍ جنسيَّةٍ محرمة، هكذا أمام الناس، ودون أدنى ذرةٍ من حياء أو خجل؛ وذلك ليخضعوا لفحص

الحَمض الوراثي DNA. والغرض منه أن تعرف هي من هو والد طِفلها أو طِفلتها[١٧].

فأين حقوق المرأة وكرامتها؟ بل أين حقوق الطفل؟ وأين حقوق الرجل الإنسان والأسرة التي يتشدق بها الغرب؟ أليس حق الأبوَّة مفقوداً بهذا الواقع، وهو أساس كلِّ الحقوق في الحياة الإنسانية! والسخرية أن مرتكبي هذه الجرائم والجنايات بحق الإنسان هم من يُحاضِرون بدروسهم وإعلامهم على المسلمين اليوم بحقوق الإنسان! وحقوق المرأة! وحقوق الطفل، بل يدَّعون زوراً وبهتاناً أن الإسلام ظَلَم المرأة ولم يُعطِ الزوجة حقوقها! أليست هذه هي المزايدة حقاً؟ ومن هنا يجب التأكيد على أن مبدأ تشريع حقوق

(١٧) انظر: صحيفة المدينة الإخبارية، مقال بعنوان: (اقرأ عن السقوط الأخلاقي في الغرب)، بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٢٠م، الرابط التالي: https://bit.ly/3hs5n7J.

المرأة في الإسلام يؤكد على تحقيق العدالة لها، وهو أهم حق في مساواة التكامل، فالكرامة الإنسانية في الإسلام حقٌّ للرجل والمرأة على حدٍّ سواء، ومساواة التكامل في الوظائف والواجبات بينهما حقٌّ آخر كذلك.

ويرى هوفمان - كما هو غيره - أن الأحكام الإسلامية المتعلقة بالمرأة تَعُدُّد الاختلاف في ترتيب المساواة منطقياً ومُبرَّراً، إذ الاختلاف البيولوجي بين الجنسين وعدم المساواة الجسدية أمرٌ يَحسِمُ مفاهيم مساواة التماثل ليكشف حقيقة الثقافة الغربية وإهانتها للمرأة، بل إن هذا الاختلاف هو ما يفرض تشريع القوامة في الإسلام تكريماً للمرأة. فالقوامة تعني المسؤولية الأسرية والكفالة والحماية وحقوقاً أكثر للمرأة على الرجل مما تحتاجه المرأة في أي مجتمع كان. ويتجاهل ميثاق حقوق الإنسان الغربي هذه المفاهيم

وذاك الاختلاف الفطري البيولوجي، وذلك عن قصد لمصلحة مساواة خيالية يتم الدفاع عنها بمكابرة ثم بمزايدة!

كما أن مما تعنيه قوامة الرجل على المرأة في الإسلام هو تقدير الاختلاف الفطري حول إمكانيات الرجال البدنية أو المالية، التي هي غالباً عند الرجال أكبر منها لدى النساء، مما يَصُّب في حق المرأة ووجوب النفقة عليها ورعايتها وحمايتها بكرامة حقوقية مُثْلَى. ويرى هوفمان وغيره من المؤمنين والمنصفين أن تشريعات الإسلام تُلبي كل حقوق المرأة الأساسية؛ بل كرامتها فوق ذلك، إن هم أرادوا فهم ذلك أو العمل به.

ومما يراه هوفمان: أن تعدد الزوجات يُعَدُّ حقاً للمرأة على المجتمع (مثلاً)؛ ففي هذا تلبية لحقوق المرأة ذاتها في الزواج النظيف، وحقوقها في الإنجاب المشروع، وما في هذا

من حمايــة لحقوق الطفل بــالأسرة والأبوَّة. وهذا التعدد المشروع هو حق وتكريم للمرأة أكثر مــن كونه حقاً للرجل. وهو حق تفرضه أحياناً الديموغرافيا الســكانية؛ بسبب زيادة أعداد النساء على الرجال ليُقدِّم الإسلام الحل النظيف للمرأة وأطفالهــا! ولتنتهي المزايدة أو لتنكشــف حول هذا الجانب، فإن حالات التعدد في الإسلام أقل بكثير من حالات الخيانة الزوجية مع العشــيقات في الغرب، كما يقول هوفمان ويقــرِّره وهو الخبير بالغرب، وذلك في مواضع كثيرة من كتبه ومقالاته[١٨].

ولهذا يعتقد كل مســلم أن القرآن ســبق في تشــخيص حقيقة الغــرب النــصراني المتعصب ومزايداته ومن ســار في ركابه ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: ٨٩]. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ

(١٨) انظر: مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٣٥.

عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

## ثالثاً: الديمقراطية

الديمقراطية الغربية تُعدُّ من أنجح التجارب البشرية المعاصرة في تحقيق شيء كثير من العدالة في الغرب، خاصةً ما بعد الحرب العالمية (الأوروبية) الثانية، حينما حققت لدول أوروبا وأمريكا الاستقرار السياسي وحق الانتخاب وحقوق الإنسان داخل المنظومة الغربية. ويقيناً أنها - على الرغم من نقائصها - أفادتهم كثيراً في حياتهم السياسية، لكن تساؤلات عدة تطرحها بعض الأحداث السياسية، وكثير من الحوادث العسكرية العدوانية داخل الغرب نفسه وخارجه، وذلك عن مدى الالتزام بقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان خارج حدود

هــذه الــدول تحديــداً، ومنها: مــاذا يعني الصمت عن الاســتبداد السياسي للحكومات في معظــم دول العــالم الإســلامي أو دعمُه؛ رغم المآسي الإنســانية كما في العراق وسوريا وأفغانســتان وفلســطين على ســبيل المثال؟ ومــاذا تعني حقوق الإنســان الغربي القائمة على نهب ثروات ومقدرات الشعوب الأخرى وإفقارها وسلب حقوقها كما في دول إفريقيا كمثال؟ والقائمة من التساؤلات تطول وتزداد في وضوح المزايدات.

وعلى المســتوى الداخلي: مــاذا تعني قيم الديمقراطيــة إذا كان يصحبهــا أعلى نســبة مســاجين في العالم، ومن أعــلى دول العالم في حــالات المخدرات والخمور، وعــدد اللقطاء من الأطفــال غير الشرعيين تغــص بهم دور الحضانة، كما هو الحال في أمريكا؟

فالديمقراطية السياسية الغربية على الرغم من نجاحها السياسي إلا أن إخفاقاتها الأخلاقية تُعدُّ مما يُهدِّد بقاءَهـــا مع أن عمرها الزمني قصير جـــداً، والحكم في الغالـــب يكون على المآلات والنهايات.

وحول الاســـتفادة من هـــذه الديمقراطية، يكفي أنها ليســـت ملكيـــة فكرية غربية، بل إنهـــا في شِـــقِّها الإداري دون الأيديولوجـــي ممكنة التطبيـــق في المجتمعات الإســـلامية، إذ (في رأيـــي) لا يتعـــارض جانبها الإداري مع تشريعات الإســـلام في تحقيق العدالة؛ بل إن عدم احتكار الديمقراطية في الغرب أَنْجَحَهَا إلى حدود كبـــيرة أو إلى مدى معيَّن في بلاد أخرى مثل تركيا وماليزيا وإندونيســـيا وباكســـتان باختلاف في مســـتوى النزاهة والشـــفافية في التطبيقات بين الدول، فلا مجال للمزايدة في شيء يمكن امتلاكه أو العمل به من الجميع.

ثــم إن النظــم الديمقراطيــة وقوانينهــا وحرياتها في الغرب تســقط بشكل مُريع كما هو مشــاهد في الواقع عند أي خلل أمني أو اضطــراب اجتماعي، أو مظاهرات أو حروب وصراعات داخل الدول الغربية ذاتها؛ فيكف تعاطــت - مثلاً - بعض الولايــات الأمريكية مع أحــداث شــغب المظاهــرات المناهضة للعنصرية عام ٢٠٢٠م؟ فالولاية التي يحكمها حاكم ديمقراطي - حســب التقارير والأخبار - يريد إســقاط ترامب الجمهوري من خلال تســاهل حاكم الولايــة أو نوعية تعاطيه مع أحداث الشغب والمظاهرات، حتى لو احترقت مدن الولاية بالكامــل نكاية بالحزب الحاكم المنافــس (الجمهوري)[١٩]! فهــل الديمقراطية

(١٩) انظر نموذجاً توثيقياً عــن هذا الحدث: صحيفة الشرق الأوســط، بعنوان: (ترامــب يدعو حــكام الولايات إلى موقف أكثر صرامة حيال الاحتجاجات)، بتاريخ ١ يونيو ٢٠٢٠م، الرابط التالي: https://bit.ly/3btRsh5

الغربيــة وصلت إلى هذا المســتوى من عدم الحس الوطني؟ وربما يتكرر التســاؤل حول ما حدث في الولايــات المتحدة الأمريكية من خدشٍ أو كسرٍ لهذه الديمقراطية حين اقتحام مبنــى الكونغرس بتاريــخ ٦ يناير ٢٠٢١م من بعــض المتظاهرين الجمهوريــين بعد إعلان فوز الديمقراطيين، وهو ما يعكس شــيئاً من حقيقة الديمقراطية أو هشاشتها في محضنها الأول[٢٠].

والأكــثر من ذلــك عن هــذه المغالطات والمزايدات الغربية المكشــوفة مع الإســلام؛ هو ســوء فهم حقيقة العدالة في تشريعات الإســلام وأصول الحكم، وهو الاتهام الباطل القائــل بعــدم القــدرة الجوهرية للإســلام

(٢٠) انظــر تفاصيــل عن اقتحام الكونغــرس: مقال (تعليق جلسة الكونغرس بعد اقتحام متظاهرين مؤيدين لترامب لمقره)، موقع DW الألماني، بتاريخ ٦ يناير ٢٠٢١م، على الرابط التالي: https://bit.ly/3hTlMVH

وتشريعاته المثبتة تاريخياً عبر عصور الدول الإسلامية المتعاقبة حول احترام حقوق الإنسان وكرامته، وحول تطبيق معظم قيم العدالة بصورة فعلية في الحكم السياسي والعدلي والجنائي والقضائي. فالعدل في الإسلام وتشريعاته منافسٌ بشموله وكماله لما لدى الغرب والشرق، بل منافس لجميع أنواع العدالة البشرية في الأرض، كما أن حقائق التاريخ الإسلامي دامغةٌ في جوانب التطبيق عبر عموم العصور الإسلامية، وفيها كان وضع الحكم عدلياً إلى حدٍّ كبير باستثناءات يسيرة. وتمَّ هذا بالفعل في وقت كان الغرب في عصوره الوسطى (الظلامية) يعيش المَلَكيات والإقطاع والظلم بكل أشكاله وصوره، وفي زمن كان الاستبداد الديني فيه مُسيطراً بكل فئاته وطوائفه على الشعوب الغربية. وقد تمتع المسلمون ومن كان تحت

حكمهم آنذاك من الأقليات الدينية والعرقية بنظام عـدلي وقضائي فريد مـن نوعه، كما دوَّن ذلك منصفو الغرب ذاته[٢١].

وحول القيم الشورية في الإسلام أكَّد هوفمان أن اللـه سـبحانه وتعـالى حينـما يطلب من المسـلمين العفو والإصلاح عند فض خلافاتهم الصغيرة والكبيرة فإن العدل الإلهي غير غائب في مشروعية وجوب تحقيق العدالة ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٣٨ - ٤٠][٢٢].

---

(٢١) انظر على سـبيل المثال الباحثة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها (شمس الإسلام تسطع على الغرب).

(٢٢) انظر: مراد هوفمان، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٤٨.

وحسب هوفمان، فإن هذه الآيات وأمثالَها يمكن الاستنباط منها مبدأً تشريعياً عامّاً يتضمن الحق في الديمقراطية والمشاركة السياسية، ومشروعية رد العدوان والظلم. ثم ألم يكن الخلفاء الراشدون الثلاثة الأوائل قد تم انتخابهم، دون أن يكونوا من ذوي قربى النبي ﷺ؟ فهل يمكن للمنصف استنتاج أن الدولة الإسلامية يمكن أن تكون جمهورية ديمقراطية؟ وليس بالضرورة اشتراكية أو مَلَكِية. والحق أن التعثر في المصطلحات لدى بعض المسلمين لن يكون عائقاً عن الاستفادة مما لدى الآخر؛ خاصةً أنه من الثابت أن الإسلام قد وضع أنموذجاً إسلامياً للحماية الشرعية القانونية للإنسان في الحكم، وحق الحياة السياسية، والحقوق الاجتماعية الأخرى بعدل وإنصاف[٢٣].

(٢٣) انظر: مراد هوفمان، بعنوان: (مصطلح حقوق الإنسان

ولا شــك عند أي مؤمن بالإســلام أن مثل هذه الأنظمة والتشريعات (التي شرعها الله لعبــاده والتزموا بها تجاهه من حيث المبدأ) أكثر فعالية ورســوخاً من تلــك القوانين التي يُحدِّدها عَقْدٌ اجتماعي أو سياسي، ليس قائماً في الأصل على رقابة الله وتقواه، وهي الضابط الأقوى للعدالة والسلم بين البشرية.

ولعل هذه النتائج الســابقة تكشــف شيئاً كثيراً من الحقيقة حول بعض المزايدات الغربية، وقديماً قال المثل: «الحق أكبر من الشمس التي لا يمكن حجبها بغربال».

غير معروف في الديانات الإبراهيمية)، ترجمة مصطفى الســليمان، موقــع قنطــرة، بتاريــخ ٢٠٠٣/٠٣/١٢م، الرابــط التــالي: https://ar.qantara.de/node/10427

# مجلة البيان الرقمية للأجهزة الذكية

https://cutt.us/zEaYm

https://cutt.us/jB64B

http://onelink.to/albayan